وعندما أسند الفعل إلى غير العاقل بمخالفة قوانين الطبيعة المألوفة للإنسان وذلك كالنملة في قوله تعالى: ﴿قالت نملةٌ يأيها النمل﴾[1]، وكالنار في قوله تعالى: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾[2]، لم يشب الموضوع كل ما شابه من الحرج عندما كان «الله» هو الفاعل، لكنه بقي مجالاً لخلاف كبير حول الحقيقة والمجاز.

والخلاف حول الحقيقة والمجاز ليس خلافًا بسيطًا حول طبيعة الأسلوب الأدبي أو نوعه.

إنما هو خلاف ذو خطر، حول دلالة اللغة، وحول فاعلية اللغة. **فهل تنشئ اللغة الدلالات بتكويناتها الخاصة؛ علاقات بين ألفاظها وتراكيبها، أم تصنعها قياسات ومقارنات عقلية مبنية على موضوعات في عقل المتلقي وعالمه، خارج عالم اللغة؟**

فهل قالت النملة حقا؟ أم أن علينا أن نفكر بعقولنا فيما تستطيعه النملة؟ وهي لا تستطيع التكلم فالقول مجاز إذن، وهذا المجاز يلغي قوة اللفظ قال، ويحوّله إلى مجرد وسيلة غير مباشرة للتعبير عن معنى آخر.

وسنخص الآية بدرس مفصّل، لكننا نكتفي هنا بهذه الإشارة إلى **أن تغير الفاعل كان مثيراً لهذا الإشكال وأدخل الآية في بحث المشكل.** ورغم تعدد وجوه تفسير «قال الله» والخلاف الكبير فيه، فإن اللافت للنظر أن اللفظ لم يرد واحداً من ألفاظ الوجوه في صيغة الفعل الماضي منه، وأنه ورد في صيغة المصدر في كتاب ابن الجوزي[3] ولم يدخل بين النظائر مشتقات أخرى من الجذر، رغم شيوع هذه الظاهرة في كتابه، وفي كتب الوجوه بعامة كما لاحظنا من قبل. ولم ترد المادة في كتابي يحيى بن سلام والدامغاني.

وتنبه هذه الملاحظة إلى وجود ألفاظ فسرت على وجوه مختلفة، في مواضع متباينة، وفي الموضع الواحد، وشاع الخلاف في تفسيرها، ومع ذلك لم تضمها كتب الوجوه.

فلماذا؟ وهل يتعلق هذا بخطة معينة في الجمع؟ وماذا يتحتم على الباحث؟ أن يتبع التعريف النظري أم التطبيق العملي للعلماء عندما جمعوا ما دخل في - نظرهم - تحت هذا الاسم أو التعريف؟

---

(١) النمل: ١٨.
(٢) ق: ٣٠.
(٣) نزهة، ٤٨٦.